République Algérienne Démocratique et Populaire

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

Recherche Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Center Universitaire Abdelhafid Boussouf- Mila المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف- ميلة

Institut des Lettres et des Langues معهد الآداب و اللغات

محاضرات مقياس: الإعجاز اللغوي

- السنة الثالثة ليسانس
- تخصص لسانيات تطبيقية

إعداد الأستاذة:

سليمه هاله

السنة الجامعية: 2020/ 2021

المحاضرة الأولى: الإعجاز اللغوي: مفهومه، أهميته، أنواعه

قبل التطرف لمفهوم الإعجاز علينا أن نقف على معنى المعجزة للترابط الدلالي بينهما.

المعجزة:

من المتعارف عليه أن الله عزّ وجلّ قد أرسل رسلا للبشر يبلغون رسالته، وقد خصّ كل واحد منهم بمعجزة تفرّد بها عمن سبقه. وقد كانت معجزة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم القرآن خير كتاب أنزل للنّاس لعلهم يتقون.

وقد عرّف العلماء المعجزة بقولهم " أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم من المعارضة يظهره الله على يدّ رسله" فالأمر الخارق لا يدخل تحت طاقة البشر، وهي هبة من عند الله لا يستطيع أحد أن يعيّن زمانها ونوعها.

شروط المعجزة: لكي تكون المعجزة دليل على صدق الأنبياء والرسل يجب أن تتوفر فيها جملة من الشروط نذكر منها:

1ــ أن تكون ممّا لا يقدر عليه إلا الله.

2ــ أن تخرق العادة.

3ــ أن يستشهد بها مدّعي الرسالة على الله عزّ وجلّ.

4ــ أن تقع على وقف دعوى المتحدي بها المستشهد بكونها معجزة له.

5ــ ألا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدي على وجه المعارضة.

مفهوم الإعجاز:

الإعجاز في اللغة من عجز يعجز عجزا، والعجز نفيض الحزم، وهو الضعف وعدم القدرة.

والإعجاز مصدر الفعل أعجز و"الإعجاز في الكلام: هو أن يؤدّى المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق" أيّ الانفراد والتميّز في إيصال المعنى عن كل ماسبقه وما يلحقه.

وأبرز وجوه الإعجاز هي: إعجاز غيبي، وإعجاز تشريعي، وآخر علمي، إعجاز عددي، وإعجاز لغوي، وهذا الأخير هو الذي يعنينا في هذا المقياس.

مفهوم الإعجاز اللغوي:

الإعجاز اللّغويّ هو" العلم الّذي يهتم بإبراز إعجاز المفردة القرآنية، من حيث شكلها ومضمونها وغايتها". أيّ العلم الذي يبحث في الألفاظ القرآنية سواء من حيث:

الشكل: ويراد به الجانب الصوتي من حيث تناسق الحروف، المخارج، الحركات...

المضمون: وهو المعنى ولا يمكن استبدالها بمرادف لها مهما تقارب المعنى.

الغاية: وهي الوفاء بحاجة النفس البشرية، والموازنة بين العقل والعاطفة.

من هنا نجد أنّ الإعجاز اللغوي يكمن في:

1 قدرة التعبير القرآني على أداء مدلولات كثيرة، في نطاق لا يستطيع البشر مجاراته، وهذا لب الإعجاز.

2 أسلوب القرآن فيه مزاوجة بين جمال التعبير ودقة العبارة، وهو ما يفتقده الأسلوب البشري. فألفاظ القرآن مقصودة بسياقها وتركيبها فلو وضعت في مواضع أخرى لما اتضح إعجازها وبلاغتها.

يقول الدكتور منّاع القطّان " وحيثما قلّب الإنسان بصره في القرآن، وجد أسرارا من الإعجاز اللّغويّ...في نظامه الصوتي البديع، بجرس حروفه، حين يسمع حركاتها وسكناتها، ومدّاتها وغُنّاتها، وفواصلها ومقاطعها، فلا تمل أذنه السّماع، بل لا تفتأ تطلب منه المزيد. ويجد ذلك في ألفاظه التي تفي بحقّ كلّ في موضعه، لا ينبو منه لفظ يقال إنّه زائد، ولا يعثر الباحث على موضع يقول إنّه يحتاج إلى إثبات لفظ ناقص. ويجد ذلك في ضروب الخطاب التي يتقارب فيها أصناف الناس في الفهم بما تطيقه عقولهم... ويجد في إقناع العقل وإمتاع العاطفة، بما يفي بحاجة النفس البشرية تفكيرا ووجدانا"

فالقرآن الكريم اعترف العرب بتفرده في الأسلوب والنظم لأنهم أهل فصاحة وبيان. وهذا ما روته كتب التاريخ، فلقد أنزل على العرب وفي بيئتهم وبلغتهم إلّا أنّهم احتاروا في معرفة جنسه، فهذا الوليد بن المغيرة ورفعة مكانته في قومه احتار في وصفه يوم اجتمع مع علية قريش فقالوا له فلنقل كاهن. قال ليس بكاهن ولا شاعر ولا ساحر ولا مجنون، ثم انصدم في عدم معرفة جنسه فقالوا ساحر لعدم وصولهم لحل آخر. أما طه حسين فقال الأجناس ثلاثة: شعر ونثر، وقرآن. فهذه أكبر الدلائل على إعجازه.

والقرآن وإن خاطب القوم بلغة الإعجاز اللغوي،فإنّه نص يخلق أدبيته الخاصة به التي تجعله نصّا على غير مثال، يبدع النصوص وهي لا تبدعه، ومن ثم يخلق ثقافتَه ونظامَه المعرفي الخاص. فقد صدق من قال:" وليس كمثله شيء."

أهمية الإعجاز اللغوي:

إن الإعجاز اللغوي بكونه أهم وجوه إعجاز القرآن الكريم تتجلى أهميته في "بلوغه الغاية القصوى مما يمكن أن يبلغه الكلام العربي البليغ في حصول كيفيات في نظمه مفيدة معاني دقيقة". أيّ أن القرآن في أعلى مراتب البلاغة والفصاحة.

كذلك معرفة ما أبدعه القرآن من أفانين التصرف في نظم الكلام مما لم يكن معهودا في أساليب العرب، ولكنّه غير خارج عمّا تسمح به اللغة. والإطلاع على ما أُودع فيه من المعاني الحكيمة والإشارات إلى الحقائق العقلية والعلمية ما لم تبلغ إليه عقول البشر.

إضافة لهذا تبرز أهمية الإعجاز اللغوي في كونه أكبر دليل على أن القرآن من عند الله لأهل الفصاحة والبلاغة من العرب. فغايته هي الوفاء بحاجة النّفس البشرية إقناعا للعقل وإمتاعا للعاطفة، مع مراعاة مستويات النّاس كافة في الخطاب.

أنواع الإعجاز اللغوي:

تتجلى أنواع الإعجاز اللغوي في: الإعجاز الصّوتي، والإعجاز الصّرفي، فالإعجاز التركيبي، والبياني، وهو ما يلخصه حكيم سلمان السلطاني :" إنّ النظام الخاص للغة النّص القرآني لا يكمن فقط في مجرد نقل دلالة بعض الألفاظ من المواضعة اللغوية إلى الاصطلاح الشّرعي، بل إنّ حدود النظام اللغوي للنص تتجاوز ذلك إلى أفاق بعيدة وغائرة، إنّها لغة تحاول تشكيل أجروميتها الخاصة التي تبدأ بالصّوتي فالصّرفي والمعجمي لتصل إلى مستوى تشكيل نسقها النحوي والدلالي الخاص."

فالصوت جزء من الحرف، والحرف جزء من الكلمة، والكلمة جزء من الجملة، ومنه فالإعجاز يمسّ كل منها من جانب دون آخر لذا نجد الإعجاز الصوتي والذي يهتم بالأصوات وكل ما يندرج تحتها من مظاهر الإبدال والعدول وغيرها، ونفس الشيء مع الإعجاز الصرفي الذي يهتم بالكلمة من حيث صيغتها، والتركيبي الذي يهتم بالجملة ومكوناتها من حروف وأفعال والبياني من حيث الأسلوب ككل.

المحاضرة الثانية: إعجاز المفردة القرآنية

إنّ الحديث عن المفردة القرآنية هو حديث عن أحد وجوه الإعجاز من حيث استعمال أفصح الألفاظ وأدقها تعبيرا وأحلاها نغما، فالله سبحانه اختار من اللغة أحسنها وأفصحها وأجودها في البلاغة والدلالة، فامتاز القرآن بدقة اختيار مواضع المفردات حتى يحسبها القارئ بأنها خلقت لهذا الموضع دون غيره.

وإعجاز المفردة القرآنية إنّما أريد به " مراعاة المحاسن اللفظية وفصاحة اللفظ وانسجام النظم، وذلك بسلامة الكلام في أجزائه ومجموعه ممّا يجر الثقل". فاللفظة مفردة أو مركبة لابد من النظر في فصاحتها وحسن ترابطها مع ما يسبقها وما يليها، بشرط أن لا تكون مما يثقل على اللسان وهذا هو الإعجاز.

وتظهر أهمية المفردة القرآنية في كونها تساعد على إيضاح المعنى من جهة، ومن جهة أخرى تساهم في الايقاع الصوتي للكلمات مما يشد السّمع ويجذبه. "فالكلمات القرآنية لها دور هام في السّياق للدلالة على المعنى كما أنّ لها دور في تناسب الإيقاع دون أن يطغى هذا على ذاك".

خصائص المفردة القرآنية:

تتميّز المفردة القرآنية بجملة من الميزات التي تجعلها منفردة عن سائر المفردات اللغوية الأخرى فالله عزّ وجلّ أنزل القرآن بأبلغ لغة وأفصحها، وهذه اللغة تتميز بمفردات ذات خصائص فنيّة جمالية انفردت بها عن غيرها من الألفاظ نذكر منها:

1_ سلامة ألفاظ القرآن من التنافر:

ويشمل التنافر الثقل في السمع وصعوبة النطق، وتجاور كلمات متقاربة المخارج و... كلها هذا غير موجود في مفردات القرآن الكريم فهي معروفة بفصاحتها وجزالتها "فالتآخي في المعاني والألفاظ ونسقها ونغمها ومعانيها واضح في كل آيات القرآن". وقد عبّر البعض عن

هذا بجمال وقعها في السمع، فسلامة المفردات ودقتها في التعبير عن المعاني يؤدي إلى جمال نغمها لدى القارئ أو السّامع. فسلامة القرآن من التنافر وبناؤه على التآلف اللفظي والمعنوي مع كثرة ألفاظه وتنوع أغراضه هو وجه من وجوه إعجازه.

2_ استعمال أحسن اللهجات الواردة في أداء اللفظ القرآني:

المعروف أنّ القرآن نزل بلغة قريش لكن هذا لم يمنع من وجود بعض اللهجات فيه وهذا ما يفسر الحديث الشريف " أُنزل القرآن على سبعة أحرف". ومهما يكن فالقرآن جاء بأحسن اللهجات وأخفها وتجنب المكروه من اللهجات، وهذا من أسباب تيسير تلقي الأسماع له ورسوخه فيها.

3_ الدقة في الاختيار:

إنّ ألفاظ القرآن الكريم مختارة ومنتقاة بدقة فلا مجال للترادف فيها فكل كلمة لها دلالتها في موضعها، ولا يمكن استبدالها بأخرى مقاربة لها في المعنى. أي أنّ كل مفردة لها معناها الخاص في الجملة عبر السّياق القرآني. وقد عبّر عنه ابن عاشور بصراحة كلمات القرآن الكريم بمعنى "استعمال أقرب الكلمات في لغة العرب دلالة على المعاني المقصودة وأشملها لمعان عديدة مقصودة".

4_ اتساع الدلالة:

والمراد به هو التعبير بمفردة واحدة عن العديد من الدلالات، فالقرآن تميّز باحتواء المعاني الكثيرة في ألفاظ وجمل قصيرة. وهذا مراعاة لأساليب العرب الذين جُبلوا على ذكاء القرائح وفطنة الأفهام، فكان الإيجاز عمود بلاغتهم. إذ "كانت الكلمة منه تقع على أحدهم وإنّ لها ما يكون للخطبة الطويلة والقصيدة العجيبة في قبيلة بأجمعها"

ومنه فالمفردة القرآنية لها من السّمات ما يميزها عن بقية المفردات اللغوية الموظفة في نص لغوي ما، وقد أضاف البعض خاصية الدقة في التصوير كون المفردة القرآنية تعكس المعنى بطريقة تصويرية ممّا يقربه للقارئ أو السّامع. " نرى اهتمام النظم القرآني في اختيار الكلمة المناسبة ذات الجرس المعين لأداء وظيفتها في الإيقاع كما أنّها تؤدي في نفس الوقت دورها في تصوير المعنى وتشخيصه وإيضاحه على أتمّ صورة".

نماذج من إعجاز المفردة القرآنية:

قال تعالى **"نساؤكم حرث لكم"** شبّه النساء بالأرض ولكن الأرض قد تكون جدباء غير صالحة للزراعة، لهذا كانت كلمة حرث أقرب دلالة وأدقها. وهذا ما يعكس إعجاز لفظة حرث وكأن هذا الموضع خُلق لها دون غيرها.

كذلك كلمة أغطش في قوله تعالى **"أغطش ليلَها وأخرج ضُحاها"** فهي قريبة لمعنى أظلم ولكنّ كلمة أغطش تحمل معنى الظلام إذا انتشر فيه الصمت وعمّ الرّكود وبدت في أنحائه مظاهر الوحشة. أمّا كلمة أظلم فهي تعبّر عن السّواد الحالك.

إضافة إلى هذا جاء في سورة الكهف كلمتي "استطاعوا، اسطاعوا" في قوله تعالى **" فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا" الكهف 97.** وكلمتي (تستطع، تسطع) في قوله جلّ ثناؤه **" قال إنّك لن تستطيع معي صبرا" الكهف 68.** وتكررت كلمة "تستطع" أكثر من مرة. وجاءت كلمة تسطع في قوله **" ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا" الكهف 82.** فالتاء والطاء تدلان على بذل الطاقة والقوة، وهنا يكمن الفرق بين المفردتين فالقرآن الكريم استعمل كل مفردة في موضعها الدّال عليها إذ جاءت كلمة استطاعوا وتستطع في المواضع التي تحتاج إلى قوة وطاقة أكبر من قدرة البشر وهذا ما

يفسر عدم صبر موسى مع الخِضر، أمّا تسطع واسطاعوا فجاءت لتحمل معنى القدرة على التفسير والتأويل، أيّ بإمكان البشر فعله، وهو جهد عادي.

وجاء في قوله تعالى **"والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس" التكوير17ـــ 18.** فمفردة تنفّس تمثل المعنى بأدق صورة، فكأن الصبح ينفلت من ظلمة الليل الحالكة ليتنفس النور والضياء.

المحاضرة الثالثة والرابعة: الإعجاز الصوتي

سبق وذكرنا أنّ الإعجاز اللغوي هو العلم الذي يهتم بالمفردة من حيث شكلها ومضمونها وغايتها، وعرفنا أنّ المراد بالشكل هو مظهرها الصوتي من حيث مخارج الحروف وصفاتها وكل ما يتعلق بالجانب الصوتي للغة. ومنه فالإعجاز الصوتي هو الحديث عن الأصوات ودورها في كشف المعنى وإبرازه لكونها ـــالأصواتـــ جزء أساسي في بناء اللغة التي عرّفها ابن جني بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم. فبالصوت تتشكل الكلمات ومنها تتألف الجمل والتراكيب.

وقد نظر اللغويون القدامى للصّوت بكونه مرادفا للحرف وقد ذهب مذهبهم بعض من المحدثين أمّا البعض الآخر فقد فرّق بينهما بكون الصّوت هو الصّورة السّمعية التي تصلنا أمّا الحرف فهو الصّورة الكتابية النمطية. وبغض النظر عن هذا الاختلاف فإنّ ما يهمنا هنا هو النظر للصّوت بكونه جزء أساسي في بناء الكلمة وتجلي المعنى.

جاء القرآن الكريم في أعلى مراتب البلاغة والفصاحة، واختار أدّق الكلمات للتعبير عن الأحكام والممارسات "والكلمة في الحقيقة الوضعية إنّما هي صوت النفس" أي صوت النطق بها وهذا الصوت هو الذي يعطيها معنى في التركيب.

جعل مصطفى صادق الرافعي الأصوات ثلاث وهي:

1ـــ صوت النفس: وهو الصوت الموسيقي الذي يكون من تأليف النغم بالحروف ومخارجها وحركاتها ومواقع ذلك من تركيب الكلام ونظمه على طريقة متساوقة وعلى نضد متساو، بحيث تكون الكلمة كأنها خطوة للمعنى في سبيله إلى النفس.

2ـــ صوت العقل: وهو الصوت المعنوي الذي يكون من لطائف التركيب في جملة الكلام ومن الوجوه البيانية التي يداور بها المعنى لا يخطئ طريق النفس من أي الجهات انتحى إليه.

3ـــ صوت الحسّ: وهو أبلغهن شأنا، لا يكون إلا من دقة التصوّر المعنوي والإبداع في تلوين الخطاب، ومجاذبة النفس مرة وموادعتها مرة. وهو يبرز في وجوه البيان وطرائف المعاني. وهذا النوع من الأصوات انفرد به القرآن الكريم وكان روح الإعجاز فيه لكماله اللغوي. فلا يمكن لأي لغة أن تصور إحساس كامل وأن تؤثر مبلغ تأثير القرآن.

الإعجاز الصوتي يتجلى في العديد من المظاهر الصوتية التي تقرّب المعنى وتعكسه.وتتمثل في الإدغام، الإعلال، الإبدال، الإمالة...وسنكتفي بمعالجة خاصية الإبدال. إلى جانب هذا سنتطرق إلى مظاهر التناسق والتناسب المتعلقة بالصوت والمتمثلة في الإيقاع، والتكرار وإيحاء الصوت بالمعنى، والتي تعدّ بأكملها صورة من صور الإعجاز الصوتي.

الإبدال:

ويراد به إبدال حرف مكان حرف آخر لضرورة ما أو استحسانا أو صنعة. وقد زخر القرآن الكريم بضروب كثيرة منه.

من أمثلة الإعجاز الصوتي عن طريق الإبدال ما نجده في قوله تعالى:" لست عليهم بمصيطر" فهنا تمّ إبدال حرف السين بحرف الصّاد "وتبدو المناسبة واضحة بين طبيعة الصوت المفخم والموقف التي تدل عليه الآية، فالخطاب موجه إلى الرسول صلى الله عليه

وسلم، أي: لست يا رسول الله بمتسلط عليهم تجبرهم على الإيمان أو تكرههم عليه، وهي دعوة من الله إلى نبذ التجبر على الناس وأمرهم بالقوة، لأن الهداية لا تكون إلا من عند الله، فلما كانت السيطرة تدل على التجبر والقوة جاءت اللفظة بالصّاد المفخمة المجسّدة للموقف بدلا من السين المهموسة التي تدل في الغالب على اللين والهمس."

وهو نفس الأمر في قوله تعالى "وزادكم في الخَلق بَصَطة"الأعراف 69. فاستبدلت السين صادا، وقد ذهب المفسرون إلى أن معنى بصطة الامتداد والطول، في حين رأى آخرون أن الصّاد جاءت بعد الطاء فهي تدل على الطول في الخلق وعظمة الجسم. ويبدو من استخدام الصّاد بدل السين قصد تشخيص الامتداد في الطول لذلك نجد الصاد المفخم دالا على الجسم الضخم.

وقد تستعمل كلمة في موضع ثمّ تستعمل في موضع آخر مع إبدال حرف فيها، ومثاله ما جاء في قوله تعالى **" إنّ أوّل بيت وضع للنّاس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على النّاس حج البيت من استطاع إليه سبيلا" آل عمران96 _97.** وقال في موضع آخر **"وهو الذي كفّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكّة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا" الفتح 24.** فجاءت في سورة آل عمران بكّة أمّا في سورة الفتح مكّة، وقد ذهب المفسرون أنّ سبب مجيئها بالباء أنّها وردت في آية الحج، وبكّة من البكّ وهو الزّحام ومعروف أنّ في الحج يزدحم النّاس للطواف والسّعي.

إيحاء الصوت بالمعنى:

ويراد به أن يدل جرس الصوت على المعنى وقد اعتمد المفسرون على تمييز المعنى من خلال صفات الصوت ومخارجه. فمثلا كلمة "ضيزى" في قوله تعالى **"ألكم الذكر وله الأنثى**

تلك إذا قسمة ضيزى" النجم 21_22، هناك من عالجها في تفسيره وقال بأنه لا يعرف معنى ضيزى ولكن وقع أصواتها وغرابة لفظها توحي بمعناها. فهذه اللفظة الغريبة عبّرت بأحسن صورة عن المعنى" ولا يكون حسنها على غرابتها إلا أنها تؤكد المعنى الذي سيقت له بلفظها وهيئة منطقها، فكأن في تأليف حروفها معنى حسيا وفي تآلف أصواتها معنى مثله في النفس".

كذلك نجد القرآن عندما أراد أن ينقل صورة النار للناس وهي غاضبة ومغتاضة اختار الحروف الدالة على ذلك والتي تصور بجرسها العنف والشدّة. فالصورة الصوتية للصوت تشكل المادة للقيم اللفظية كما هو الحال في صوت الشين والظاء في كلمة شواظ في قوله تعالى**"يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران"الرحمن 35** فكلمة شواظ اجتمعت فيها حرفي الشين والظاء الذين يبعثان على الشّدة والقوة. وهو الأمر نفسه في حرفي الهاء والشين فباجتماعهما دلّا على الخشونة والعنف في قوله تعالى "**إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور" الملك7.** فكلمة شهيقا تبعث على الخوف والجبروت.

كذلك ما جاء في قوله تعالى **"والذين كفروا لهم نار جهنّم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كلّ كفور وهم يصطرخون فيها ربّنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنّا نعمل" فاطر36_37.** فالوقع الحسّي لكلمة يصطرخون ذات جرس موسيقي غليظ توحي بغلظ الصراخ المختلط المنبعث من حناجر مكتظة بالأصوات الخشنة، وعدم المبالاة بهذا الصراخ تزيد من حدّة الموقف.

وقد يكون الصوت مفردا كما هو الحال في كلمة تلظّى في قوله سبحانه "**فأنذرتكم نارا تلظّى" الليل 14.** صوت الظاء يبعث على الشعور بالخوف، فحتى من لم يدرك معنى تلظى يكفيه أن يسمعها ليستشعر بحدّة الموقف وشراسته.

وغير هذه الأمثلة كثير مما أدّى الصوت فيها دورا بارزا في تحديد المعنى وتوجيهه، فالصّوت له مكانته المهمة في البناء اللغوي.

الإيقاع:

ويراد به تلك الموسيقى التي يبعثها تسلسل الأصوات في الكلمة القرآنية مفردة كانت أو مجتمعة مكونة تركيبا لغويا هادفا يحمل العديد من المعاني بين الترغيب والترهيب. "فاللغة العربية لغة موسيقية فنيّة، وتبدو موسيقيتها في اختلاف مخارج الحروف، واختلاف صفاتها، واختلاف حركاتها وسكناتها، كما تبدو في اختلاف الكلمات من حيث جرسها ونغماتها، وفي اختلاف العبارات من حيث إيقاعها". فمخارج الأصوات وحركاتها وغناتها ومداتها تنسج إيقاعا موسيقيا مؤثرا يجذب النفس البشرية إليه، فالعرب منذ نزوله أدركت أذنهم ذلك الوقع الحسّي الذي يتميز به فيبعث راحة نفسية تميل إليه النفس.

والإيقاع الموسيقي في القرآن الكريم يتألف من عدّة عناصر هي:

1ــ من مخارج الحروف في الكلمة الواحدة.

2ــ من تناسق الإيقاعات بين كلمات الفقرة.

3ــ من اتجاهات المدّ في الكلمات.

4ــ من اتجاهات المدّ في نهاية الفاصلة المطردة في الآيات.

5ــ من حرف الفاصلة ذاته.

فالإيقاع في الأصوات يكمن في نسيج اللفظة والعبارة، وهو نوع من الموسيقى الداخلية التي تلحظ ولا يشرح وإنّما يدرك بحاسة خفية تساهم في بناء التعبير القرآني. ونلمسه في السور القصيرة والفواصل ومواضع التصوير.

وهناك نوع آخر من الموسيقى ومن أمثلته قوله تعالى **"أفرأيتم ما تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلّا ربّ العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدّين" الشعراء 75_82** فحذف ياء المتكلم من (يهدين، يسقين، يشفين، يحيين) من أجل المحافظة على حرف القافية، وكي لا يختل الإيقاع المنسوج جذبا للانتباه ووقعا في النفس يدركه المتأمل في آيات الله فقط.

وهو ذات الشيء في قوله تعالى **"والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل إذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر" الفجر 1_5.** فالياء في كلمة "يسري" حذفت من أجل المحافظة على الانسجام الموسيقي مع الكلمات (الفجر، عشر، الوتر، حجر).

وهذه الموسيقى قد تكون بأسلوب سريع الحركة قصير الموجة قوي البنية ينسجم مع الجو المكهرب، شديد الخوف. ومن أمثلته قوله تعالى **" والنّازعات غرقا والنّاشطات نشطا والسّابحات سبحا فالسّابقات سبقا فالمدبّرات أمرا يوم ترجف الرّاجفة تتبعها الرّادفة قلوب يومئذ واجفة أبصارها خاشعة يقولون أإنّا لمردودون في الحافرة أإذا كنّا عظاما نخرة قالوا تلك إذا كرة خاسرة" النازعات 1_12.** وقد تكون بأسلوب متوسط الطول، رخيّ الموجة، ضعيف الحركة ينسجم مع القصص القرآني كما هو الحال في بقية سورة النارعات **" هل أتاك حديث موسى إذ ناداه ربّه بالواد المقدس طوى اذهب إلى فرعون إنّه طغى فقل هل لك إلا أن تزّكى..."** والإيقاع في هذين الأسلوبين جاء منسجم مع السياق العام للآيات، ولكل نوع من الموسيقى وظيفة هادفة مع المشهد المعروض.

وقد يأتي الإيقاع الموسيقي على شكل دعاء وأمثلته كثيرة في القرآن الكريم نذكر منها **" ربّنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النّار ربّنا إنّك من تدخل النّار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار ربّنا إنّنا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربّكم فآمنّا ربّنا فاغفر**

لنا ذنوبنا وكفّر عنّا سيّئاتنا وتوفّنا مع الأبرار ربّنا وآتنا ما وعدتّنا على رسلك ولا تُخزنا يوم القيامة إنّك لا تخلف الميعاد" آل عمران 191_ 194.

التكرار:

هو ظاهرة من الظواهر البلاغية التي شهدها القرآن الكريم وكانت من محاسن الفصاحة فيه، والتكرار وما يحدثه من نفور وإطناب في الفنون الأدبية شعرها ونثرها هو نفسه الذي يعد ضربا من الإعجاز في القرآن لما له من موسيقى عذبة تستحسنها النفس وتميل إليه الأذهان. فتكرار الصوت يضفي بعدا موسيقيا يعد مكونا للبنية الصوتية داخل التركيب اللساني.

والتكرار في القرآن الكريم شمل الأصوات والتراكيب والقصص ولكل منها دلالتها الخاصة، ومايعنينا في موضعنا هذا تكرار الأصوات. ومن أمثلته ما جاء في تكرار صوت الراء إذ يعتبر صوت "تكراري انفجاري مجهور، فهو يؤلف صورا مشحونة بالعنف والشدّة غالبا، ومن تلك الصور التكرارية ما ورد في قوله تعالى "**فالمدبرات أمرا يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة أبصارها خاشعة يقولون أإنا لمردودون في الحافرة" النازعات 5_10.** فتكرار صوت الرّاء هنا عكس المشهد المخيف لحال الناس يوم القيامة وأهوالها.

كذلك ما جاء في قوله تعالى "**كلا إذا دكت الأرض دكا" الفجر21.** فصوت الكاف حنكي انفجاري مهموس، وقد أدى تكراره لمعنى القوة والعنف بالإضافة إلى التوكيد.

ودلالة التكرار في القرآن الكريم سواء أكانت أصواتا أم تراكيبا أو ألفاظا فإنها تهدف إلى التوكيد أو التهويل والإنذار، التصوير وغيرها من الدلالات ذات الأثر البالغ في تحقيق الأغراض البلاغية.

المحاضرة الخامسة: الإعجاز الصرفي (في الصيغ)

الإعجاز الصرفي هو البحث في المفردة القرآنية من حيث صيغها وأوزانها المكونة للتركيب. أي دراسة الجدول الصرفي في التعبير القرآني كالعدول من صيغة إلى أخرى، أو من جنس إلى آخر ومدى فاعلية هذه الصيغ في توضيح المعنى.

تعريف الصيغة:

الصيغة في اللغة من صاغ الشيء يصوغه صوغا وصياغة، والصياغة هي السبك. أما في الاصطلاح فهي الشكل والبناء فهي "عبارة عن أبنية مقيسة في الأكثر ولها أوزانها التي لا تختلف في عمومها وغالب أمرها"، من أمثلتها صيغ المبالغة، وصيغة اسم الفاعل واسم المفعول، وأسماء الزمان والمكان، صيغة المبني للمعلوم والمبني للمجهول بالنسبة للأفعال وغيرها كثير. وهي تختلف عن الأوزان الصرفية التي يراد بها "مقابلة اللفظ بحروف الميزان (الفاء والعين واللام)"

ومما جاء في الحديث عن الصيغ في القرآن الكريم نجد قوله تعالى **"يس والقرآن الحكيم" يس2_1.** فلفظة الحكيم هناك من عدّها "فعيل بمعنى اسم المفعول أي "محكم" والمحكم هو الذي لا يتناقض ولا يأتيه الباطل من بين يديه" وهناك من صنفها على أنها صيغة مبالغة من الحكم وهو حاكم، ومعناه أنه" قرآن حاكم، فالله هو الحكم العدل والقول الفصل وحكمه يعلو على جميع الأحكام"

كذلك ما جاء في صيغة المضارع قوله تعالى **"ومن نعمّره ننكّسه في الخلق أفلا يعقلون" يس68** فكلمتي (نعمره وننكّسه) جاءتا بصيغة المضارع للدلالة على الاستمرارية وأنّ التعمير بيد الله وهو مستمر إلى أن تفنى الأرض ومن عليها. جاء في تفسير هذه الآية

"قال نعمّره وننكّسه بالفعل المضارع ولم يقل (من عمرناه نكسناه) للدلالة على الاستمرار وأن هذا قانون الحياة، ولو قال (ومن عمرناه نكسناه) لم يدل على الاستمرار بل دلّ ذلك على حالة ماضية... ولو قال (ومن يُعمّر يُنكس) بالبناء للمجهول لم يدل على أن ذلك من فعله سبحانه"، فصيغة المضارع هنا لها دلالتها الخاصة التي لا يمكن تعويضها بأي صيغة أخرى، لأن كل صيغة لها موضعها الذي لا يصلح لغيرها مهما تعددت التأويلات.

صيغ المبالغة:

تتعدد صيغ المبالغة بتعدد صياغتها فمنها ما له أوزان قياسية معروفه كفعّال، وفعول ومفعال، وفعيل، وهناك أوزان أخرى غير قياسية. ولكل صيغة معناها الخاص مع أنها تشترك في الدلالة على الكثرة والمبالغة في الفعل. ومن أمثلتها ماجاء في قوله تعالى **"إنّا نخاف من ربّنا يوما عبوسا قمطريرا" الإنسان 10.** فلفظة (عبوس) صيغة مبالغة على وزن فعول الدّالة على التكثير، والله عز وجل في هذه الآية يتحدث على لسان المؤمنين المصدقين بيوم القيامة وأهواله فوصفه بالعبوس الدّالة على الشدّة وزيادة في الترهيب. ومن المواضع الأخرى التي ضمّت صيغة المبالغة على وزن فعول نذكر قوله تعالى"**وربّك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجّل لهم العذاب" الكهف 58،** فالغفور هنا صفة المولى عزّ وجلّ لكثرة غفرانه لعباده، فالإنسان كثير الذنوب والخطايا ومغفرة الله المتكررة هي رحمة للعباد، لذا كثيرا ما نجد ارتباط الرحمة بالمغفرة في الآيات البينات لتعلق المفهومين ببعضهما.

كذلك نجد من صيغ المبالغة ما جاء على وزن فعّال في قوله تعالى **"كلّا إنّها لظى نزّاعة للشّوَى" المعارج 15ـ 16.** فصيغة (نزّاعة) تحمل معنى التكرار والمبالغة والاستمرار، "وهي مبالغة في النزع وهو الفصل والقطع"، فالنّار هنا تقطع وتفصل الأطراف عن الرأس، وهناك من فسّر الشّوى بجلدة الرأس أي تنزعها وتفصلها. ودلالة الاستمرار هنا

مستمدة من صيغة المبالغة، إضافة إلى أن القرآن الكريم قد ذكر في موضع آخر بأن النّار تشوي الجلود فيبدلها الله بغيرها ليُعاد صليها مرة أخرى جزاء عملهم، قال تعالى**"إنّ الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إنّ الله كان عزيزا حكيما" النساء56.**

هذا ونجد قوله تعالى**"ولا تطع كل حلّاف مهين" القلم10**، قد ضمّت صيغة مبالغة تمثلت في كلمة (حلّاف) التي تدل على كثرة الحلف وتكراره، و"الحلّاف المكثر من الأَيمَان على وعوده وأخباره، وأحسب أنه أريد به الكناية عن عدم المبالاة بالكذب وبالأَيمان الفاجرة فجُعلت صيغة مبالغة كناية عن تعمد الحنث"

اسم الفاعل:

من الأمثلة على صيغة اسم الفاعل نجد قوله سبحانه **"فلعلّك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك" هود12.** لفظة (ضائق) جاءت بصيغة اسم الفاعل لكونها تحمل معنى الزوال وعدم الثبوت. جاء في تفسير هذه الآية أنّ اختيار صيغة اسم الفاعل لتدل "على أنّ الضيق الذي أصاب الرسول صلى الله عليه وسلم هو ضيق عارض غير ثابت، لأنّه كان أفسح النّاس صدرا".

وقد تدل صيغة اسم الفاعل على الثبوت كما في قوله تعالى **"والذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون" الأعراف36.** فالخلود في جهنم هنا ثابت، وهو جزاء العمل الذي قاموا به. ودلالة الصيغة تستنبط من السياق الذي يلعب دورا مهما في تحديد المعنى.

اسم المفعول:

نذكر من صيغ اسم المفعول ما جاء في قوله تعالى **"إنّ في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له النّاس ذلك يوم مشهود" هود103.** مفردة (مجموع) جاءت بصيغة اسم المفعول الذي يدل على الحدوث، فالجمع كائن يوم القيامة الذي وصفه القرآن باليوم المشهود وهو دال على المستقبل، فاسم المفعول هنا له "دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه يوم لابد أن يكون ميعادا مضروبا لجمع النّاس له، وأنّه الموصوف بذلك صفة لازمة، وهو أثبت أيضا لإسناد الجمع إلى الناس وأنهم لا ينفكون منه". فدلالة اسم المفعول هنا جمعت بين الحدوث في الزمن المستقبل، والثبوت.

وقد تدل صيغة اسم المفعول على الحدوث في الزمن الماضي كما هو الحال في قوله **"فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقُمّل والضفادع والدّم آيات مُفصّلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين" الأعراف 133.** فلفظة مفصلات جاءت على صيغة اسم المفعول من الفعل غير الثلاثي (فصّل) الدال على قوة الفصل، ومفصلّات تعني "مبينات ظاهرات لا يشكل على عاقل أنها من آيات الله عزّ وجلّ، أو فُصل بينها بزمان لتمتحن فيها أحوالهم". ومن خلال السياق يتبين لنا أنها تدل على الحدوث في الزمن الماضي.

صيغتا أفعل وفعّل:

إضافة لهذا نجد من الصيغ ما ورد في القرآن مرّة بالتضعيف وأخرى دونه، ومثالها ما جاء في قوله تعالى **"ووصّينا الإنسان بوالديه حملته أمّه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إليّ المصير" لقمان14.** استعمل القرآن لفظة (وصّى) بالتضعيف بدل من صيغة (أوصى) للتركيز على الفعل والمبالغة فيه. " لأنّ القرآن يستعمل الفعل وصّى في أمور الدين والأمور المعنوية وأما (أوصى) فيستعمله للأمور المادية" كما في قوله تعالى **"من بعد وصية يوصي بها أو دين" النساء11.** فكلمة يوصي من (أوصى)، وهي تخص الميراث هنا أيّ أمر مادي. وهو الأمر نفسه في قوله تعالى **"نزّل عليك الكتاب بالحقّ**

مصدقا لما بين يديه وأنزل التّوراة والإنجيل" آل عمران3. فنزّل بالتضعيف لها معنى مغاير لكلمة (أنزل)، فالأولى تدل على التكرار والتدرج، أمّا (أنزل) فهي عامة، وذهب البعض إلى أن القرآن سُمّي تنزيلا لأنه نزل تدريجيا على الرسول الكريم، ولم يأت جملة واحدة، في حين أن التوراة نزلت دفعة واحدة على سيدنا موسى عليه السلام وهذا ما أثبته المفسرون من خلال تتبع مواضع أنزل ونزّل، إذ جاءت في موضع آخر قوله تعالى "ياأيها الذين آمنوا أمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نُزّل على رسوله" ويراد به القرآن ثم قال "والكتاب الذي أنزل من قبل" أي التوراة. "فاستعمال نُزّل قد يكون للتدرج والتكثير، وقد يكون للاهتمام والمبالغة". ونفس الشيء مع المفردات التي أتت بصيغة فعّل وأفعل.

صيغ الإفراد والتثنية والجمع:

يستعمل القرآن الكريم صيغة المفرد والمثنى والجمع وقد يستعمل نفس اللفظ لكن في حالات يكون مفردا وفي حالات أخرى يكون مثنى أو جمعا، كما هو الحال في لفظة (رسول) التي جاءت في سورة الشعراء بصيغة المفرد **"فأتيا فرعون فقولا إنّا رسولُ ربّ العالمين" الشعراء16.** وجاءت في موضع آخر على صيغة المثنى في قوله **"فأتياه فقولا إنّا رسولا ربّك فأرسل معنا بني اسرائيل" طه47.** ففي سورة الشعراء ورد ذكر لفظة (رسول) مفردة مع أن الخطاب كان موجها لموسى وهارون إلا أنّ السورة بُنيت على الوحدة فمن يرجع إلى الآيات التي سبقت هذه الآية لأدرك أن الحوار في السورة كان بين الله وموسى وحده. فجاء السياق مفردا ليدل به على المثنى.

أمّا في سورة طه فقد بُني الكلام على التثنية وبقية الآيات دليل على ذلك. فالقرآن الكريم وظّف كل صيغة في مكانها الخاص بها لعلاقة الآيات التي تسبقها والتي تلحقها ببعضها البعض، فهي نسيج متكاملا من المفردات والمعاني بحيث يصعب ويستحيل

تغيير صيغة أو تحريكها عن موضعها لأنها تفقد المعنى الموضوع لها وهذا من مظاهر الإعجاز اللغوي.

المحاضرة السادسة: الإعجاز الصرفي (الخرق والعدول)

تعريف العدول:

العدول في الاصطلاح هو مصطلح يقوم على مخالفة قواعد اللغة، نشأ بصورة مغايرة لما هو مألوف في الاستعمال المتعارف عليه من خلال ملاحظة اللغويين تراكيب خالفت القاعدة الأصل. وقد اصطلح عليه اسم الخرق أيضا لكونه يحدث خرقا في الأسلوب السائد والمتعارف عليه.

والعدول الصرفي هو عدول في مفردات اللغة من خلال علم الصرف إذ " يتحدّد بغياب التطابق بين هذه المفردات في الخطاب كالاختلاف في الجنس، أو العدد، أو الزمن، ومنه فإنّ كل ما يبدو من مفارقة بين أجزاء الكلام كإسناد الفعل المؤنث إلى الفاعل المذكر، أو الإخبار عن المستقبل بالماضي، أو خطاب الواحد بلفظ الجماعة" يعدّ خرقا وعدولا. من هنا نستنبط أنواع العدول الصرفي على حسب الصيغ الصرفية البارزة، من حيث الاسم والفعل ومايقع بينهما.

أنواع العدول الصرفي:

1ـــ العدول الاسمي يتفرع العدول الاسمي إلى فروع عديدة نذكر منها:

1ـــ1: العدول في العدد: الاسم في اللغة العربية ينقسم من حيث العدد إلى مفرد ومثنى وجمع، ويكون العدول بين هذه الصيغ الثلاث كالعدول عن المفرد إلى المثنى أو عكسه، أو العدول عن الجمع إلى المثنى ونحوه. ومن أمثلة العدول عن المثنى إلى المفرد ما جاء في

قوله تعالى **"وجعلنا ابن مريم وأمّه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار معين" المؤمنون50**، يظهر العدول في لفظة (آية) إذ كان المتوقع من السياق أن يقال (آيتين)، ولكنّ المولى عبّر عن الاثنين بالمفرد لأن شأن عيسى وأمّه واحد. والأمر نفسه في قوله **"والله ورسوله أحق أن يرضوه" التوبة 62**، فجاءت يرضوه بدل من يرضوهما لأن رضا رسول الله من رضا الله، فهو مبلغ رسالة ربّه. ومنه فالعدول عن المثنى إلى المفرد كان لضرورة تناسب المفردات مع بعض البعض، ولأسرار بيانية يكشفها السياق الواردة فيه.

أمّا ما جاء على شاكلة العدول عن المفرد إلى الجمع نذكر قوله سبحانه **"مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون" البقرة 17** فكلمات (نورهم، تركهم، يبصرون) جاءت بصيغة الجمع بعد أن كان الخطاب للمفرد (الذي استوقد) لأنه يصف حال المنافقين ككل لا حال المستوقد الواحد. ونفس الشيء مع ما هو حاصل في العدول عن المفرد للمثنى، وعن المثنى للجمع، وعن الجمع إلى المفرد وغيرها من نماذج العدول العددي، وكلّها تهدف لبيان الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم والوقوف على السّر البلاغي الناتج عن هذا العدول.

1_2: العدول في الجنس:

الأصل في اللغة العربية أنّ جميع مفرداتها إمّا أن تكون مذكرة أو مؤنثة، فلا تحتل أحدهما مكان الأخرى إلا لسبب وجيه كما هو الحال في القرآن الكريم الذي انفرد بأسلوبه فاعتمد على خرق النسق المتعارف عليه في العربية في بعض المواضع، فنلاحظ العدول عن المذكر إلى المؤنث، أو العكس وسنبيّن ذلك من خلال الأمثلة الآتية:

جاء من باب العدول عن المذكر إلى المؤنث قوله تعالى **" فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الوِلدان شيبا السماء منفطر به كان وعده مفعولا" المزمل17_18**، فوصف السماء

بصفة المذكر (منفطر) من الانفطار أي تتشقق وكله في سياق التهويل من اليوم الموعود. "ولعل العدول في الآية عن الاستعمال الشائع في الكلام الفصيح في إجراء السماء على التأنيث إلى التذكير إيثارا لتخفيف الوصف لأنه لما جيء به بصيغة منفعل بحرفي زيادة وهما الميم والنون كانت الكلمة معرضة للثقل إذا ألحق بها حرف زائد آخر ثالث، وهو هاء التأنيث فيحصل فيها ثقل يجنبه الكلام البالغ غاية الفصاحة"، والتخفيف هنا لتجنب الثقل في النطق وليس لتخفيف الوصف، حيث أنها في موضع آخر ذكرت الصفة مؤنثة في قوله "إذا السماء انفطرت" لأنها تضمّ حرف زيادة واحد.

ومن أمثلة العدول عن المؤنث إلى المذكر نجد قوله تعالى في قصة مريم **"يامريم اقنتي لربّك واسجدي واركعي مع الراكعين" آل عمران 43،** موضع العدول في لفظة (الراكعين) وهي جمع مذكر والسياق يتحدث عن المؤنث لكنه لم يقل مع الرّاكعات لضرورة بلاغية استدعتها متطلبات السياق. وقد ذهب المفسرون بأنّ "قوله مع الراكعين إذنٌ لها بالصلاة مع الجماعة، وهذه الخصوصية لها من بين نساء اسرائيل إظهارا لمعنى ارتفاعها عن بقية النساء، ولذلك جيء في الراكعين بعلامة جمع التذكير".

1_3: العدول بين المعرفة والنكرة: يحدث العدول في الأسماء من حيث التنكير والتعريف أيضا، فيستخدم التعريف في مواضع تنكير، وقد يكون عكس ذلك من خلال اعتماد التنكير في مواطن التعريف عن طريق العدول الصرفي بين النوعين. ومن أمثلة العدول عن النكرة إلى المعرفة نذكر قوله سبحانه **"أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنّا له لحافظون قال إنّي ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون" يوسف 12_13.** إنّ كلمة الذئب جاءت معرفة والمعروف في اللغة أن التعريف يرمز للشيء المعروف ومنه جاءت تسمية التعريف، ولكن الذئب هنا غير معروف وهو غير محدّد، ومع هذا عُدل عن النكرة بالمعرفة. يقول أحد المفسرين "التعريف في الذئب تعريف

الحقيقة والطبيعة، ويسمّى تعريف الجنس، وهو هنا مراد به غير معيّن من نوع الذئب أو جماعة منه".

أمّا العدول عن المعرفة إلى النكرة نجد منه في قوله تعالى **"ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إنّ الله خبير بما تعملون" الحشر18،** إنّ مجيء كلمة (نفس) نكرة لدلالة على الشمولية والعموم على عكس لو كانت معرفة لتحدّد المعنى في نفس بعينها،"وتنكير نفس يفيد العموم في سياق الأمر، أي لتنظر كل نفس... وتنكير (غد) للتعظيم والتهويل، أي لغد لا يُعرف كنهه".

2ـــ العدول الفعلي: يتفرع العدول الفعلي هو الآخر إلى عدّة فروع منها:

2ـــ1: العدول عن الماضي إلى المستقبل:

من أمثلته قوله تعالى **"الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب" الرعد 28،** الفعل (تطمئن) عُدل من الماضي إلى المستقبل ليدل على ديمومة الاطمئنان فأصل الكلام (واطمأنت قلوبهم)، لكن الزمن المستقبل فيه بعثه للدلالة على الاستمرار والتجدّد فالاطمئنان بذكر الله موجود سابقا وحاضرا ومستقبلا، لذا جاء العدول هنا ليؤكد على التجدّد والثبات.

2ـــ2: العدول عن المستقبل إلى الماضي:

ومن نماذجه نذكر قوله عزّ شأنه **"إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداءً ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتَهم بالسوء وودّوا لو تكفرون" الممتحنة 2،** عُدّل عن الفعل المضارع يودوا إلى الفعل الماضي ودّوا أي أنّ الكفار يودوا أن تكفروا من الآن فكيف لو يأسرونكم أليس أهم شيء عندهم أن يردوكم كفارا، لأن محبتهم بأن يكفر المسلمون ليس مقيّدة بشرط الأسر بل هي كامنة في نفوسهم منذ القدم، لذا جاءت صيغة الفعل في الماضي.

2_3: العدول عن الأمر إلى المضارع:

ومن أمثلته نجد قوله تعالى **" يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون" الصف 10_11.** فالخطاب هنا من المولى إلى المؤمنين وقد عُدل عن الفعل الأمر بالمضارع في كل من (تؤمنون، تجاهدون) لكون المضارع هنا يحمل معنى الخبر، فالله يخبرهم بأحسن الأعمال التي تنجيهم من العذاب. فكلمة تؤمنون تدل على" إفادة الأمر بالدوام على الإيمان وتجديده في كل آن" أما تجاهدون فإنها "لإرادة تجدد الجهاد إذا استنفرو إليه".

والعدول الصرفي بصفة عامة سواء كان في الاسم أو الفعل فإن السياق الواردة فيه الآية أو الآيات يبقى هو الفاصل في توجيه الدلالة وتوضيحها، وتبين مواطن الخرق من خلال العلاقة بين المفردات وما اعتراها من تغيير عن طريق العدول لتضيف بعدا جماليا على المفردة القرآنية.

غايات العدول:

إن أسلوب العدول سواء أكان في اللغة أم القرآن الكريم فإنه يتمحور حول ثلاث غايات وهي:

1_غاية معنوية: متمثلة في توظيف المبالغة للوصول إلى أدّق معنى، فدلالة الصيغ تختلف من صيغة إلى أخرى، لذا كان من الضروري تجسيد المعاني بأساليب مختلفة هدفها الوصول إلى الدلالة المطلوبة.

2_ غاية فنّية: قد سبق وذكرنا أن الايقاع له أهميتة في جذب الانتباه، وراحة النفس فلو جاء الكلام بنمط واحد لملّ القارئ أو السّامع، لهذا جاء القرآن بإيقاعه المميز من

خلال أحكام قراءته فهذا مدّ وهذه غُنّة، وذاك إدغام وإضمار، وهناك مخاطبة للمفرد بالمثنى وهذا فعل ماضي للحديث عن المضارع، وغيرها من الظواهر الصوتية والصرفية التي جاءت عن طريق العدول لتستميل النفس البشرية فتخشع لها القلوب وتستحسنها الأسماع.

المحاضرة السابعة: الإعجاز التركيبي (زمن الفعل)

الإعجاز التركيبي هو مركب لفظي وقد عرفنا معنى الإعجاز أما التركيبي فهو نسبة إلى التركيب ومصطلح التركيب يدل على"إسناد اسم إلى اسم أو فعل إلى اسم، وذلك موكل إلى المتكلم" بمعنى التركيب يحيل إلى البناء فكل ما أسند المتكلم كلمة إلى آخرى عُدّ تركيبا بغض الطرف عن نوع الكلمة.

بالتالي نصل إلى أن الإعجاز التركيبي يراد به الإعجاز من حيث الأسلوب وبناء الجمل، فالحرف معجز بالنسبة للكلمة الوارد فيها والكلمة معجزة في الجملة، والجملة معجزة في الأسلوب وهكذا نرى أنّ الإعجاز مقترن بكل تفاصيل المفردة القرآنية، سواء أكانت منفصلة أو داخل السياق "فلغة القرآن معجزة في حدّ ذاتها، وبليغة، ومصدر ذلك راجع إلى حسن التركيب". وسنعالج الإعجاز التركيبي من خلال عنصرين اثنين هما: أزمنة الفعل وحروف المعاني.

1ـــ أزمنة الفعل:

الفعل هو كل كلمة اقترنت بزمن معين، وهذا الزمن محصور لدى علماء العربية في ثلاث أزمنة، ماض ومضارع وأمر. ودلالة الفعل تختلف حسب الزمن الوارد فيه إذ أنّ ـــزمن الفعلـــ مهم جدا في تبيين دلالته فهو" قرين دلالة البنية على الحدث إذ لا ينفك عنهما أيّـــ الفعل والزمنـــ وجهان لعملة واحدة لا ينفصل أحدهما عن الآخر ومن البديهي أن

يعرب الفعل عن الزمان، وأن يدل على أقسام هذا الزمان ودقائقه وذلك بصيغ وأبنية وتراكيب معروفة".

هذا ونجد الفعل عند علماء الأصول لا يختلف عن الفعل عند علماء اللغة، إذ يرون أنّ الفعل "كلمة تنبئ عن حركة صادرة من المسمّى، حيث ينشأ الإنباء من صيغة الفعل، لا مادته" والصيغة هي الزمن الوارد فيه بنية الكلمة.

والزمن في الفعل يختلف حسب وجهة نظر العلماء إلى أزمان عدّة، فهنالك الزمن النحوي، والزمن الصّرفي، والزمن السياقي وغيرها من الفروع التي تجعل من الفعل ذات دلالة على حسب وجهة الرأي القائل بها صاحبها.

فالزمن النّحوي يتلخص في الأزمنة المتداولة من ماض ومضارع وأمر، أمّا الزمن الصّرفي فهو المتعلق بصيغة الكلمة إذ حدّد الصّرفيون صيغ تدل على معاني بذاتها كصيغة فعل ويفعل وافعل ويضاف إليها الأزمنة المركبة مثل صيغة "قد فعل"، "كانوا لا يفعل" وغيرها. أما الزمن السّياقي فهو الذي يحدّد داخل السّياق "فالزمن في الصيغة المفردة لا قيمة له خارج السّياق، أما في حال التركيب مع الفعل في الكلام فيصبح له زمن يسمّى بالزمن السّياقي التركيبي تحدده القرائن اللفظية أو الحالية، فيظن في التركيب الشكلي اللفظي أنّ الفعل ماض وتكون حاله كذلك غير أنّ معناه يكون مخالفا اللفظ".

ومن الأمثلة على دلالة أزمنة الفعل نجد قوله تعالى **"إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل" يوسف 77،** صيغة الفعل (يسرق) على وزن (يفعل) تدل في الحقيقة على المضارع لكن في سياق هذه الآية دلّت على الماضي لكون السرقة قد حدثت قبل أن يتلفظ إخوة يوسف بهذا.

كذلك نجد قوله تعالى **"ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون"** التوبة 84، فالفعل "تصلي" في سياق هذه الآية يدل على المستقبل المطلق فلا تتوقف على المستقبل القريب أو الحاضر فمنذ نزولها لم يصل الرسول صلى الله عليه وسلم على أي كافر مات قط.

وقد يأتي الفعل الماضي دالا على المستقبل كما هو الحال في قوله سبحانه **"إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت"** التكوير1_2، فكل من (كورت، انكدرت) جاءتا في الزمن الماضي لكن الانكدار والتكوير سيحصل مستقبلا لذا فهما تدلان على الزمن المستقبل. ومثله في قوله **"فإذا برِق البصر وخسَف القمر وجُمع الشمس والقمر يقول الإنسان يومئذ أين المفر"** القيامة7_10 فكل الأفعال الواردة في هذه الآيات كانت في الزمن الماضي بغض النظر عن كونها مبنية للمعلوم أو للمجهول، لكن دلالتها جاءت للمستقبل فهي تتحدث عن أهوال يوم القيامة أي ما سيحدث حينها.

قد تدل الأفعال على زمن عام غير محدد كما في قوله **"إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه"** يوسف 40، فأمر الله لعباده لا يتقيد بزمن دون غيره فهو زمن مطلق يشمل كل الأزمنة الماضية والحاضرة والمستقبلة. وهو ذات الأمر في قوله **"قد أفلح المؤمنون"** المؤمنون1، فالفعل" أفلح" وإن كان ظاهره في الزمن الماضي إلا أنه غير مقترن بزمن محدّد كون الفلاح كائن متى ما توفرت فيهم صفات الإيمان سواء للسابقين أو اللاحقين. وقد ساعدت القرينة اللفظية (قد) في توجيه المعنى لكونه خارج عن الزمن.

ودلالة الزمن تستنبط من السياق الكلي للآية، مع الاعتماد على القرائن اللفظية والمعنوية التي تحيل المعنى لمنحى مخالف لما هو ظاهر من صيغة الفعل.

المحاضرة الثامنة: الإعجاز التركيبي (حروف المعاني)

المراد بحروف المعاني تلك الحروف التي تحمل في طيّاتها معنى مع غيرها، فهي "توصل معاني الأفعال إلى الأسماء... وهذه الحروف قسيمة الأسماء والأفعال أيّ تجيء مع الأسماء والأفعال لمعانٍ وتكون عوضا عن جمل وتفيد معناها بأوجز لفظ، فكل حروف المعاني تفيد فائدتها المعنوية مع الإيجاز والاختصار". ويصطلح عليها بحروف الربط لكونها تربط السّابق باللاحق.

تتمثل هذه الحروف في حروف العطف والجرّ والاستفهام والنّصب و غيرها ممّا يؤدي معنى موجز بأقل الكلمات. وبهذا فهي مختلفة عن الحروف الهجائية والتي يصطلح عليها بحروف المباني كونها لا تحمل أيّ معنى إلّا إذا رُتبت مع بعضها البعض مكوّنة كلمة_ سواء كانت الكلمة اسما أو فعلا أو حرفا_ فهي لغرض البناء والتركيب.

الفرق بين حروف المعاني وحروف المباني:

1_ حروف المباني هي حروف التهجي، ومنه تبنى الكلمة فهي جزء من الكلمة.أما حروف المعاني فهي من أنواع الكلِم.

2_ حروف المباني لا تزيد على حرف واحد، بينما حروف المعاني منها ماهو على حرف واحد كهمزة الاستفهام ومنه ماهو على حرفين ومنها ماهو على ثلاثة.

3_ حروف المعاني يتبين معناها بغيرها، ولذلك يقال حرف جاء لمعنى. بينما حروف المباني ليست كذلك.

ولقد أحصى النحويون حروف المعاني فقالوا ثلاثة وسبعون حرفا، وزاد بعضهم حروفا، فاختلف في ضبط العدد بدقة. وقد حدّدوها حسب عدد حروفها فكانت الأحادية والثنائية والثلاثية والرباعية، أيّ ما تتشكل من حرف واحد أو حرفين اثنين أو ثلاثة حروف...

الأحادية مثل: الهمزة للاستفهام والنداء، والباء للجرّ و الواو للعطف....

الثنائية مثل: أو، عن، إذ، كم، هل، لو، لا...

الثلاثية مثل: أجل، إذن، إذا، ألا، إلى، أما...

الرباعي مثل: حاشا، إذ ما، حتّى، كأنّ، كلّا، لعلّ...

تكتسب هذه الحروف أهمية بالغة وخاصة لدى علماء أصول النحو لما تعكسه في فهم النص الشّرعي، فالمقبل على تدبر القرآن الكريم سيدرك الدور الذي تؤديه هذه الحروف في بناء المعنى، فالأسلوب الواردة فيه الآيات يقتضي الوقوف على هذه الحروف لتجلي الحكم الشّرعي.

نماذج منها:

إلى: حرف جرّ وقد أورد له علماء اللغة والتفسير تسعة معان منها:

1ــ أن تكون بمعنى "مع" المصاحبة: والمصاحبة هي انضمام شيء لآخر انضماما يقتضي تلازمهما في أمر يقع عليهما معا، أو يقع منهما معا على غيرهما. وعلامة المصاحبة أن يصح حذف حرف الجرّ ووضع كلمة (مع) مكانه فلا يتغير المعنى. ومثاله ماجاء في قوله تعالى" من أنصارى إلى الله" آل عمران 52. وقوله أيضا "ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم" النساء2. ففي الآيتين يمكن تغيير (إلى) بمع ولا يختل المعنى.

2ــ أن تفيد انتهاء الغاية في الزمان والمكان وغيرهما: ومن أمثلة هذا المعنى قوله تعالى **"ثم أتموا الصيام إلى الليل" البقرة 187،** فكلمة (إلى) تفيد انتهاء الغاية الزمانية. كذلك قوله **"سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى"** الإسراء 1، فهنا أفادت انتهاء الغاية المكانية.

حتّى: وهي حرف من الحروف العوامل، ولها أربعة معان منها:

1ـ التعليل بمعنى كي: أي عند تبديل موضع حتّى بكي لا يتغير المعنى. ومنه قوله تعالى **"ولنبلونكم حتّى نعلم المجاهدين" محمد 31،** بمعنى كي نعلم. ومنه أيضا قوله **"بقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتّى ينفضّوا" المنافقون7،** أي كي ينفضوا.

2ـ الاستثناء بمعنى إلّا أن: من أمثلته قوله تعالى **"وما يعلمان من أحد حتّى يقولا" البقرة 103** أي: إلا أن يقولا، وهو ذات الشيء في قوله **"ولا تُقاتِلوهم عند المسجد الحرام حتّى يقاتلوكم فيه" البقرة 191،** بمعنى إلّا أن يقاتلوكم.

الباء: وهو حرف جرّ له العديد من المعاني منها:

1ـ السببية والتعليل: وهي التي يكون ما بعدها سببا لما قبلها. من أمثلتها قوله تعالى **"إنّكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل" البقرة 54،** بمعنى لاتخاذكم العجل. كذلك قوله **"فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون" البقرة59،** أي بسبب فسقهم أنزل عليهم العذاب.

2ـ القسم: من أمثلته قوله تعالى **" وقالوا بعزة فرعون إنّا لنحن الغالبون"**الشعراء 44، وقوله تعالى**" قال فبعزّتك لأغوينهم أجمعين"** ص82.

أو: حرف عطف له من المعاني الكثير منها:

1ـ بمعنى بل: كقوله تعالى **"وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون"** الصافات 147، وقوله **"فكان قاب قوسين أو أدنى"** النجم9.

2ـ التخيير: ومعناه الأخذ بشيء دون غيره فلا يجمع بينهما، وتكون أو بمعنى التخيير بعد الطلب. مثل قوله تعالى **"فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو**

كسوتهم أو تحرير رقبة" المائدة 89. فهنا لا يجوز الجمع بين الإطعام والكسوة أو التحرير فالأخذ بواحدة منهم كافية وله حرية التخيير بينهم.

المحاضرة التاسعة: الإعجاز البياني (الأساليب)

1_ تعريف الأسلوب:

الأسلوب في اللغة هو الطريق الممتد والوجه والمذهب، أم في الاصطلاح فهو" طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير، أو هو العبارات اللفظية المنسقة لأداء المعاني". أما الأسلوب القرآني فهو الطريقة المنفردة التي نسجت بها الكلمات واختيرت بها الألفاظ في بناء ايقاعي منسجم ومتناسق، لا هو بالأسلوب الشعري ولا النثري المتعارف عليه عند العرب.

2_مميزات الأسلوب القرآني:

يمتاز الأسلوب القرآني بجملة من الخصائص التي تجعل منه منفردا عن بقية الأساليب العربية نذكر منها:

1_ **المرونة والمطاوعة في التأويل:** نريد بالمرونة هنا سعة الدلالة وقربها من جميع النّاس فكل يفهمها حسب معرفته بعيدا عن التناقض والتصادم، فهو يشفي قلوب العامة و يكفي الخاصة، ينهل منه العلماء ويخشاه البسطاء، فهذه المرونة من أسباب خلود القرآن لم يمسّه تحريف ولا تصحيف. فالقرآن "بقي خالدا بأسلوبه المتميّز وبخصائصه الفريدة، يتجدّد مع العصور وظلّ رائع الأثر مع ترامي الأجيال إلى هذه الأيام وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها." فأسلوب القرآن متجدّد بدليل ما وصلت إليه الأبحاث الحديثة من معارف ذُكرت في القرآن منذ القديم، وكان العصر كفيل بتفسيرها.

2_ الطريقة التصورية في التعبير: من الميزات الخاصة بالأسلوب القرآني اعتماده على تصوير المعاني والأفكار بأسلوب يتزاوح بين الترغيب والترهيب. فقارئ القرآن يستشعر وكأنه أمام مشهد واقعي، وهذا الأسلوب أقرب إلى الفهم وأنفع في إيصال المعنى بأبسط الصور كون القرآن أرسل للنّاس كافة.

ومن مواضع الأسلوب التصويري نجد قوله تعالى في وصف الجنّة ونعيمها **"على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليم ولدان مخلّدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدّعون عنها ولا ينزفون وفاكهة ممّا يتخيرون ولحم طير ممّا يشتهون" الوقعة 15_21.** فهنا جاء وصف نعيم الجنّة وما فيها من ملذات الحياة، وما تشتهيه النفس البشرية، فلو أنزل هذا الأسلوب بقوله فيها خيرات كثيرة لمّا أدّى نفس المعنى لدى قارئ القرآن.

كذلك نجد موضع تصوير مشهد يوم القيامة في قوله تعالى **" يوم يدعُ الدّاع إلى شيء نُكُر خُشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنّهم جراد منتشر مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عُسر" القمر 6_8.** فالمشهد مختصر لكنّه يشخص أحوال الناس وهم خارجون من القبور دفعة واحدة، وقد شبّههم بالجراد لتقريب الصورة، وهذا العدد الهائل خاشعة أبصارهم من هول الأمر يسرعون نحو المولى وقد عرف الكفار بأنه يوم عصيب عليهم. فهذه الآيات تصور لنا مشهد مرعب من مشاهد يوم القيامة بأسلوب يساعد القارئ على تخيل الموقف وكأنه أمامه.

فلو نقل المعنى مجردا لما أدّى نفس الوقع في أنفس قارئيه، فالأسلوب التصويري أقرب للنفس البشرية تأثيرا سواء أكان ترغيبا في أمور الدين أو ترهيبا من أهوال يوم القيامة.

3_ الاعتماد على المُحَاجَة والاستدلال:

نريد بالمحاجة هنا الإقناع بالحجة فالأسلوب القرآني يتميّز بتشعبه في العديد من الاتجاهات في ذات السّياق، فهو يوجه وينصح وفي الوقت ذاته يهدد ويتوعد، ويغفر ويعاقب في مواضع متتالية بأسلوب بديع وبلاغة تامّة. فهو من "مشرّع حكيم يقر الدساتير والأنظمة في تؤدة وأناة ورويّة، إلى وعيد وتهديد لمن يرغب عن التشريعات ويريه سوء المصير، إلى غافر يقبل توبة العبد إذا تاب وأناب، إلى معلم كيفية الالتجاء إلى الخالق سبحانه وتعالى". ومن ذلك قوله تعالى **"ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتّى يُثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيّبا واتّقوا الله إنّ الله غفور رحيم" الأنفال67_69** فالآيات بدأت بالاستنكار والتخطئة **ما كان لنبي أن يكون..."** ثمّ عرج للنصح والتوجيه **"تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة"** وبعدها تبيان رحمة الله وعفوه. فبداية الآيات ونهايتها مختلفة من حيث الأسلوب وهذا من مظاهر الإعجاز البياني لأن الإنسان لم يُؤت هذه القدرة على كبح النفس فلا يستطيع المخاطبة بأسلوب كهذا مطلقا.

إضافة لهذا نجد الأسلوب القرآني يعتمد على الاستدلال بأصغر الأمور وأبسطها كي تتضح قدرة الخالق وعظمته. قال تعالى **" أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون إنّا لمغرمون بل نحن محرومون أفرأيتم الماء الذي تشرون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون" الواقعة63_70**، فالله عزّ وجلّ استدل على عظمته بأمور بسيطة لا تخلو حياة المرء منها فالزرع والماء من أبسط الأمور التي تحيل لأعظم الأمور وأكبرها وهي وحدانية المولى وقدرته، فهو الخالق القادر فوق عباده. فكل من قرأ وتفكر وتدبر لرأى أسلوب القرآن الكريم في مخاطبة النفس البشرية بأرق أسلوب وأفصحه مع الحجّة والدليل على أكبر الأمور وأرفعها.

المحاضرة 10: الإعجاز البياني (السّياق)

للسّياق دور بارز في فهم النص سواء أكان النّص مسموعا أو مكتوبا، ومن خلاله يمكن الوصول إلى الدلالات الحقيقية والمجازية، وبه تستنبط الأحكام الفقهية والتشريعية.

لقد عدّ العلماء مراعاة السّياق في فهم القرآن الكريم المنهج الأمثل في التفسير وضابطا من الضوابط المهمة في حسن الفهم والتأويل. فالسّياق في مفهومه الواسع هو" الصّورة الكليّة التي تنتظم الصّور الجزئية، ولا يفهم كلّ جزء إلّا في موقعه من الكلّ، وقد أثبت العلم أنّ الصّورة الكليّة تتكوّن من مجموعة كبيرة من النّقاط الصّغيرة، المتشابهة أو المتباينة تدخلُ كلُّها في تركيب الصّورة".

أما السّياق القرآني فإنّنا نريد به "الأغراض والمقاصد الأساسية التي تدور عليها جميع معاني القرآن إلى جانب النظم الإعجازي والأسلوب البياني الذي يشيع في جميع تعبيراته".

ولقد اعتمد المفسرون على السياق في فهم دلالات ومعاني ألفاظ القرآن الكريم وتراكيبه خاصة عند تفسير القرآن بالقرآن. فلا يمكن الخوض في التفسير والتأويل بمعزل عن السياق الواردة فيه الآيات بغض النظر عن نوع هذا السّياق.

أقسام السّياق: تعدّدت أنواع السّياق بتعدد دارسي القرآن ومفسريه، نذكر منها:

1ـ السّياق المكانيّ: ويعني سياق الآية أو الآيات داخل السّورة وموقعها بين السّابق من الآيات واللاحق. أو علاقة السّورة بما سبقها من السور وبما بعدها. ومن أمثلته قوله تعالى **"الذين يبخلون ويأمرون النّاس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا" النساء 37.** ففي هذه الآية ذم الله المقترين الذين يبخلون بما أنعم عليهم من فضله، ليليها قوله تعالى **"والذين ينفقون أموالهم رياء النّاس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا" النساء 38.** هنا نهي عن

الإنفاق بغية المدح والشهرة لا لوجه الله وإنما لوجه البشر وحبا في البروز. وسياق الآية الأولى والثانية مكمل لبعضهما البعض ففي الأولى ترغيب في الإنفاق وفي الثانية تبيان لقواعده، أيّ أن يكون خالصا لوجه الله.

2ـ السّياق الزّمني: أيّ سياق التنزيل، ويعني سياق الآية بين الآيات بحسب ترتيب النزول.

3ـ **السّياق الموضوعي:** دراسة الآية أو الآيات التي يجمعها موضوع واحد... ويكون من خلال تتبع مواقعها في القرآن كلّه. ومثاله ما جاء في حكم شرب الخمر فلا يمكن أن نأخذه من قوله تعالى" **يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للنّاس وإثمهما أكبر من نفعهما" البقرة 219**، ولا من قوله" **ولا تقربوا الصّلاة وأنتم سكارى" النساء43**، بل لابد من تتبع موضوع الخمر إلى أن نصل إلى قوله تعالى" **إنّما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه"المائدة 90** فهنا يتضح حكم الخمر بأنّها حرام يجب اجتنابها.

4ـ **السّياق المقاصديّ:** ومعناه النّظر إلى الآيات القرآنيّة من خلال مقاصد القرآن الكريم والرّؤية القرآنيّة العامّة للموضوع المعالج. ومثاله قوله تعالى" **ولا تأكلوا الرّبا اضعافا مضاعفة**" آل عمران130. لا يمكن أن نفهم أن أكل القليل من الرّبا جائز من خلال الآية فموقف القرآن الكريم ومقصديته في موضوع الرّبا واضحة بتحريمه كلّيّا.

5ـ **السّياق التّاريخي:** بمعنييه: العامّ وهو سياق الأحداث التّاريخية القديمة التي حكاها القرآن الكريم، والمعاصرة لزمن التّنزيل، والخاصّ وهو أسباب النّزول. ومثاله ما جاء في قوله تعالى" **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصّالحات جُناحٌ فيما طَعِمُوا**"المائدة 93 هنا من قال بأن الخمر مباحة واحتجوا بهذه الآية لجهلهم بسبب نزولها، فلو علموا سبب نزولها لما

قالوا ذلك لأنّ هذه الآية نزلت عندما قال البعض بعد تحريم الخمر: كيف بمن قُتل في سبيل الله وهو يشرب الخمر وهو رجس؟ فنزلت هذه الآية تبيانا بأنّ الله لا يؤاخذهم عمّا طُعموا قبل تحريمها.

وقد اصطلح البعض على هذه الأنواع الفارطة بالسّياق الخارجي.

6ـ السّياق اللّغوي: وهو دراسة النّص القرآني من خلال علاقات ألفاظه بعضها ببعض والأدوات المستعملة للرّبط بين هذه الألفاظ وما يترتّب على تلك العلائق من دلالات جزئيّة وكليّة. ومنه ما جاء في قوله عزّ وجلّ " **فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**" الجمعة9. فهنا ليس النّهي عن البيع في حد ذاته، وإنّما لكونه مانعا عن السّعي الواجب إلى الجمعة. فالأمر بترك النّهي مقيّد بوقت صلاة الجمعة، والدليل على ذلك أوّل الآية "**يأيّها الذين آمنوا إذا نوديّ إلى الصّلاة من يوم الجمعة**".

ويسمّيه البعض بالسّياق الداخلي.

ينبغي تحكيم كلّ هذه الأنواع من السّياق عند تفسير النّص القرآنيّ بمنهج سياق متكامل.

فدلالة السّياق من أعظم القرائن التي تدلّ على مراد المتكلّم وترشد إلى تبين المجمل وإثبات المعنى المراد دون غيره وتخصيص العامّ وتقييد المطلق، وكل قول أو تفسير لا يؤيّده السّياق فلا عبرة له. من ذلك قوله تعالى" **ذق إنّك أنت العزيز الكريم" الدخان 49** إنّما يعني به الذليل الحقير وهذا المعنى مستنبط من السياق الواردة فيه الآية وعلاقته بأنواع السياقات الأخرى.